

## أضواء على مصحف عثمان رضي الله عنه و رحلته شرقا و غربا

٥٠ . سحر السيد محمد العزيز سالم

تجمع المصادر العربية على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بكتابة كل ما كان ينزل عليه من آيات. و كان يتولى كتابة الآيات أربعة في قول، لا يختلف فيهم، هم أبي بن كعب، و معاذ بن جبل ، و زيد بن ثابت و أبو زيد (١) . و كلهم من الأنصار ، و اختلفوا في رجلين من ثلاثة هما أبو الدرداء (٢) و عثمان .

كتبوه في الرقاع و الأكتاف و العسب (٣) . و اكتفى بتدوينه في هذه المواد فكانت الآيات مفرقة و بالاضافة الى ذلك وجد من الحفاظ من كان يستظهره في صدره ، بعضهم تيسر له أن يعرض ما حفظه على رسول الله (ص) و البعض الآخر حفظه عن الصحابة (٤) .

و بذلك يكون المقصود بجمع القرآن في زمن الرسول (ص) التدوين في الرقاع و العسب و اللخاف و الأكتاف ، و كذلك بمعنى حفظه في الصدور . و بهذا أصبح للقرآن صورتان . صوة صوتية ، و صوة مكتوبة (٥) . و كانت الصورة الصوتية أسهل في التحقيق من التدوين لقلة عدد الكتاب . و على هذا النحو كان هناك مصدران للقرآن الكريم ، الأول المواد سالفة الذكر التي سجل عليها دون ترتيب و الثاني سماعي في صدور حفاظ القرآن الكريم .

و لم يكد الرسول (ص) يلحق بالرفيق الأعلى حتى اضطرت أحوال الدولة الاسلامية و قامت حركة الردة ، و اضطر أبو بكر الصديق رضي الله عنه أن يقف موقفا حازما من المرتدين، و لم يتردد في محاربتهم في كل أنحاء الجزيرة العربية . و دفع المسلمون في ذلك ثمنا فادحا إذ استشهد منهم نحو ألف في موقعة اليمامة من بينهم عدد لا يستهان به من حفاظ القرآن الكريم يقرب من أربعمائة و خمسين شهيدا (٦) . و عندئذ رأى أبو بكر ضرورة جمع القرآن الكريم خشية ضياعه . و عهد الى زيد بن ثابت بجمعه لثفته في حفظه و صدقه (٧) و هكذا قدم أبو بكر الصديق للإسلام أعظم الخدمات و عاونه في ذلك عمر بن الخطاب . و قام زيد بن ثابت بدوره الذي عهد اليه به على أكمل وجه، فكان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد عليه شاهدان (٨) " مبالغة " منه في الحيلة . و يعتبر أبو بكر أول من جمع القرآن بين اللوحين بعد أن كان متفرقا في قطع من العظم و العسب و الحجر و الجلد .

و عرف هذا القرآن " بالمصحف " ، كما كان يطلق الأحباش (٩) على كتابهم و أودع المصحف عند أبي بكر في حياته ثم عند عمر بن الخطاب في حياته ، و انتهى به المطاف عند حفصة بنت عمر التي كانت تحبب القراءة و الكتابة (١٠) .  
و أغلب الظن أنه كتب بالخط اللين (المكي) . و قيل أنه كتب بكل من الخطين الجاف (المدني) الذي عرف بالخط المزوى ، و الخط المكي اللين (١١) .

### مصاحف عثمان في الأمصار الإسلامية

و في خلافة عثمان اتسعت الفتوحات الإسلامية و شملت بلاد أرمينية و أذربيجان . و كان حذيفة بن اليمان من بين من شهدوا فتح هذين البلدين (١٢) ، و رأى اختلاف الناس في قراءة القرآن بسبب اختلاف اللهجات مما أدى الى تعدد القراءات . فسار الى المدينة و التقى بعثمان بن عفان و قال له " أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود و النصارى " (١٣) . فقرر عثمان بن عفان رضي الله عنه جمع القرآن في نسخ موحدة على قراءة واحدة بلسان قريش ترسل الى الأمصار . و بعث الى السيدة حفصة أم المؤمنين أن ترسل مصحف أبي بكر ليأمر بنسخه . و أسند عثمان بن عفان الى زيد بن ثابت و عبد الله بن الزبير و سعيد بن العاص و عهد الرحمن بن الحارث بن هشام مهمة نسخ المصحف مرتب السور بلسان قريش (١٤) .  
و لما فرغ النساخ من المصحف و كتابته أمر عثمان رضي الله عنه بإحراق ما عداه من صحف أو مصاحف خاصة كان يحتفظ بها الصحابة . و قد اختلف في تحديد السنة التي تم فيها استنساخ المصاحف و الأرجح أن ذلك (١٥) تم سنة ٣٠ هـ .  
و رغم هذا الموقف المحمود الذي وقفه عثمان بن عفان رضي الله عنه لتوحيد المصحف على قراءة واحدة و إحراق الصحف الأخرى التي تسببت في اختلاف كلمة المسلمين و تكفير بعضهم لبعض فقد كان هذا الموقف سببا من بين أسباب (١٦) الثورة عليه .  
و عرفت هذه المصاحف " بالمصاحف الأئمة " أو " المصاحف العثمانية " . و قد اختلف في عدد المصاحف العثمانية التي أرسلت الى الأمصار ، فأبو بكر الداني جعلها أربعة وزعت على الكوفة و البصرة و دمشق و ترك عثمان عنده نسخة لنفسه (١٧) . و هذا الزركشي في البرهان حذو الداني في المقنع (١٨) . أما السجستاني فيورد في كتاب المصاحف روايتين الأولى على لسان حمزة الزيات جعلها أربعة مصاحف و الثانية جعلها سبعة مصاحف توزعت على مكة و الشام و اليمن و البحرين و البصرة و الكوفة و المدينة (١٩) . و ينفرد البيهقي برواية جدد (٢٠) فيها عدد المصاحف تسعة في حين جعلها ابن الحزري ثمانية (٢١) من بينها مصحف استبقاه لنفسه يقال له " الإمام " .

و يجمل جمهور من الباحثين الى أن المصاحف الأئمة كانت ستة (٢٢) .  
ونضيف أن نفوق بين المصاحف التي أرسلها عثمان رضي الله عنه الى الأمصار ومن بينها  
مصحف المدينة ، و بين مصحفه الخاص به الذي كان يقرأ فيه ساعة استشهاده ، و هو الذي قيل  
أنه خط بيمينه . و هو موضوع بحثنا هذا .

### مصحف عثمان الشخصي

تجمع المصادر العربية على أن عثمان بن عفان رضي الله عنه عندما أقدم المحاصرون لداره  
على اقتحامها يوم استشهاده أخذ مصحفه الخاص و وضعه على حجره ليتحرم به و يقرأ فيه .  
و استشهد و هو يقرأ القرآن . و تناثرت قطرات من دماثة على بضعة ورقات من مصحفه الإمام  
منها قطرات على قوله عز وجل « فسيكفيكم الله و هو السميع العليم » (٢٣) . و قد واكبت  
المصحف الإمام منذ استشهاده صاحبه ادعاءات مختلفة بهيازته ، و من هنا تبدأ مشكلة مصير هذا  
المصحف . و فيما يلي عرض موجز لأهم هذه الادعاءات و المزاعم .

أ - من المصاحف التي زعموا أنها مصحف عثمان الذي يحمل آثار قطرات دمه مصحف مصر  
و يذكر المقرئ أنه استخرج من خزائن المقتدر بالله العباس و نقل الى جامع عمرو في ٥ من المحرم  
سنة ٣٧٨ هـ في خلافة العزيز بالله (٢٤) ، و إن كان نقله لم يثبت بأي نص تاريخي و ظل مصحف  
مصر الذي زعموا أنه مصحف عثمان محفوظا بمدرسة القاضي الفاضل الواقعة قرب المشهد الحسيني  
ثم نقل بعد تخرب المدرسة الى القبة التي أنشأها السلطان الغوري تجاه مدرسته و ظل محفوظا بها  
حتى سنة ١٢٧٥ هـ عندما نقل مع آثار نبوية الى المسجد الزينبي ثم الى خزائن الأمتعة بالقلعة ثم الى  
ديوان الأوقاف سنة ١٣٠٤ هـ . و من هناك في العام التالي الى قصر عابدين و أخيرا الى المسجد  
الحسيني في نفس السنة (٢٥) . و يستبعد السمهودي أن يكون هذا المصحف هو نفس مصحف  
عثمان الخاص به (٢٦) . و يرجع أن يكون أحد المصاحف التي كان قد بعثها عثمان الى الأمصار .  
و للرد من جانبنا على هذا الزعم لا بد أن نشير الى حقيقة هامة و هي أن عثمان لم يبعث الى مصر  
نسخة من المصاحف العثمانية ، فإن اسم مصر لم يرد بين الأمصار التي تلقت مصاحف عثمان و فقا  
لما ذكره ابو عبيد القاسم بن سلام ، و السجستاني و أبو عمرو الداني مما يدفعنا الى ترجيح الرأي  
القائل بأن عثمان لم يرسل نسخة من مصحفه الى مصر (٢٧) . و لما كانت الأستاذة الدكتور سعاد  
ماهر قد درست خط مصحف مصر و أثبتت أن خطه يرجع الى عصر متأخر عن عصر عثمان بن عفان  
(٢٨) ، فإننا نرى أنه ربما كان هذا المصحف قد استنسخ من أحد المصاحف العثمانية كمصحف الشام  
مثلا ، فإن حركة استنساخ المصاحف كانت قد نشطت كثيرا في العصر الأموي . و قد ذكر أن الحجاج  
ابن يوسف الثقفي قد أرسل نسخا من مصحفه الى الأمصار و من بينها مصر و أن ذلك التصرف

قد استثار غيرة عبد العزيز بن مروان و إلى مصر الذي بادر بنسخ مصحف لمصر رصد له القراء و المراجعين المتخصصين بحيث صدر مطابقا للمصحف العثماني و بذلك يكون هذا المصحف أول مصحف رسمي لمصر (٢٩)

ب - و الادعاء الثاني يتعلق بمصحف البصرة فقد ذكر ابن بطوطة في جملة ما كتب عن رحلته إلى البصرة أنه شاهد في مسجد أمير المؤمنين علي "المصحف الكريم الذي كان عثمان رضي الله عنه يقرأ فيه لما قتل و أثر تغيير الدم في الورقة التي فيها قوله تعالى « فسيكفيكمهم الله و هو السميع العليم » (٣٠) . ونستبعد أن يكون هذا المصحف هو نفس مصحف عثمان الذي كان يقرأ فيه ساعة استشهاده لأن بني زياد كانوا يحتفظون بهذا المصحف في خزائن سلاطينهم في تلمسان إلى أن استرده أبو الحسن علي المريني منهم في سنة ٧٣٨ هـ ( ١٣٣٧ م ) . ثم ان العراق وقت زيارة ابن بطوطة له كان يخضع لدولة ايلخانات المغول في ايران الذين كانوا قد اعتنقوا الإسلام منذ أن تولى سابعهم غازان خان الإسلام (١٢٩٥) . ولو افترضنا جدلا أن المصحف الذي رآه ابن بطوطة في البصرة هو مصحف عثمان و أنه انتقل من بغداد الى البصرة في أعقاب سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ في أيدي المغول ، فكيف نفسر ظهور مصحف آخر عليه آثار قطرات من دم عثمان في خزائن المرينيين في المغرب اللهم الا إذا كان أحدهما مزيفا . ونحن لا نشك في المصحف المغربي ، و كان في الأصل محفوظا في جامع قرطبة ، ثم حمله الموحدون الى مراكش خشية أن يتعرض للضياع في قرطبة التي كانت تتهددها قوات القشتاليين و لم يكن الموحدون من السذاجة بحيث يحملون مصحف عثمان من جامع قرطبة عندما تهدده الخطر القشتالي إلى عاصمتهم مراكش و يتفننون في الإحتفال به و ترصيعه بأنفس الدرر و الياقوت و يجندون المهندسين و أرباب الحيل الهندسية للحفاظ عليه داخل خزائن تفتح وتغلق آليا ، و يحمله خلفاؤهم في حملاتهم تبركا ما لم يكن هذا المصحف موضع التبرجيل و التكريم هو أو على الأقل يضع ورقسات منه ، من مصحف عثمان الأصلي .

و هذا يدعونا الى الشك في أصالة مصحف البصرة الذي رآه ابن بطوطة و لا يبقى أمامنا سوى افتراض أن يكون هذا المصحف المحفوظ بالبصرة أحد المصحفين اللذين أرسلهما عثمان ابن عفان الى العراق (٣١) ، و أن تكون آثار قطرات الدم التي تركزت على الآية « فسيكفيكمهم الله » قد وضعت عمدا للتزوير و اقناع البسطاء من الناس بأنه مصحف الخليفة الشهيد .

ج - و الادعاء الثالث يتعلق بمصحف طشقند فمكتبة الادارة الدينية بطشقند تحتفظ بمصحف مكتوب على الرق يزعمون أنه مصحف عثمان و يتميز هذا المصحف بأنه خال من النقط و أن كل صفحة من صفحاته تشتمل على ١٢ سطر و أن عدد ورقاته ٣٥٣ ورقة قياسها ٦٨سم×٥٣سم(٣٢).

و يتساءل البعض عن كيفية وصول هذا المصحف الإمام إلى سمرقند إلى أن نقل سنة ١٨٦٩م إلى موضعه الحالي بطشقند (٣٣) .

و يفترضون حلا لذلك افتراضين الأول أن يكون هذا المصحف قد وصل إلى سمرقند إبان حكم القبيلة الذهبية (٦٢١- ٩٠٧ هـ) و أنه كان هدية من الظاهر بيبرس الذي تحالف مع بركة خان رئيس هذه القبيلة و أول من أسلم من المغول ، و صاهره . والافتراض الثاني في أقوال هؤلاء المؤرخين أن يكون هذا المصحف هو نفس المصحف الذي رآه ابن بطوطة عند زيارته للبصرة ( ٣٤ ) ثم نقل إلى سمرقند على يد تيمورلنك (٧٧١-٨٠٧ هـ) والافتراض الأول مرفوض تماما لأنه لا يقوم على أساس صحيح لأن نسبه مصحف مصر إلى عثمان بن عفان أمر مشكوك فيه أساسا . و في هذه الحالة يصبح مصحف بيبرس الذي أهده بركة خان مزيفا لأن ذلك يعني أن مصر كانت تحتفظ زمن المماليك بنسختين من المصاحف العثمانية ، وهذا محال بطبيعة الحال لأن مصحف عثمان الذي اصطبغت بعض أوراقه بدم عثمان واحد فقط ، يضاف إلى ذلك الحقيقة بأن عثمان ابن عفان لم يرسل أصلا إلى مصر نسخة من المصاحف التي أمر بنسخها و أن عبد العزيز بن مروان هو أول من نسخ مصحفا رسميا في مصر على نسق المصحف العثماني . أما الافتراض الثاني فقد لقي قبولا (٣٥) عند بعض الباحثين و رفضا من البعض الآخر (٣٦) . فالذين يؤيدون فكرة إنتقال المصحف من البصرة إلى سمرقند يقصدون به واحد من النسخ التي بعث بها عثمان إلى الأمصار الإسلامية ، و يستندون في ذلك إلى أن صورة الخط الذي كتب به مصحف طشقند أقرب ما يكون إلى صورة الخط الذي كتب به المصحف الإمام ، أي أن تأييدهم ينحصر في أن مصحف سمرقند يمكن أن يكون نفس المصحف العثماني إلى البصرة . وأما الرافضون لهذا الافتراض فيرون أن الصنعة الفنية تظهر واضحة في مصحف طشقند ممثلة في رسم الحروف مما يشير إلى أن الخط الذي كتب به لا يرجع تاريخه إلى خلافة عثمان وإنما يرجع إلى القرن الثاني أو الثالث للهجرة فالخطوط مستقيمة تبدو وكأنها رسمت بمسطرة .

د- الإدعاء الرابع يتعلق بمصحف حمص فقد شاهد الشيخ اسماعيل بن عبد الجواد الكيالي في مسجد قلعة حمص المصحف العثماني محفوظا في خزانته و الخزانة موضوعة داخل صندوق لحفظه (٣٧) . و يذكر الشيخ الكيالي أنه كان مكتوبا بالخط الكوفي الغليظ و أنه شاهد آثار دماء في بعض الكلمات . و لكن العلماء المتخصصون في علم الخط و النقوش الكتابية يرون أن الخط الكوفي الذي كتب به مصحف حمص يرجع إلى عصر متأخر مما يؤكد أنه كتب فيما بعد القرن الأول الهجري .

هـ - و الإدعاء الخامس هو مصحف اسطنبول فمتحف طوب قابو سراي باسطنبول يحتفظ

بمصحف مكتوب على الرق يزعمون أنه نفس المصحف الذي كان بيد الخليفة عثمان يوم استشهد وأن آثار الدماء ما تزال واضحة على ورقاته حتى اليوم . ولكن الرجوع إلى وصف المصحف يتضح أن هذه النقاط الحمراء التي يزعمون أنها آثار دم عثمان ليست سوى رقوش ودوائر بداخلها خطوط هندسية وفي ذلك ما يؤكد بأن المصحف لا يمت بصلة إلى المصاحف العثمانية إذ لم يكن الرقش والتقطيع من خصائص تلك المصاحف .

وهناك من المصادر الغربية ما يؤكد أن مصحف عثمان بن عفان الخاص به والذي تحتفظ أوارقه بآثار دمه كان محفوظا في جامع قرطبة حتى سنة ٥٥٢ هـ عندما نقله عبد المؤمن بن علي خليفة الموحدين إلى مراكش ، وأنه ظل بالمغرب حتى عصر بني مرين . ونحن نعتقد أن المصحف المذكور يشتمل على بعض ورقات من مصحف عثمان أضيفت إليها صفحات أخرى منسوخة من مصحف عثمان في الأندلس . ولإثبات ذلك لا بد من تتبع مصحف عثمان الخاص به

من استشهاده حتى وصوله إلى الأندلس بالمغرب . ونستنتج مما ذكره السهمودي في

"وفاء الوفا" أن مصحف عثمان الذي كان يطالع فيه وقت استشهاده انتقل بعد وفاته إلى أحد

شخصين كلاهما يحمل اسم خالد . أحدهما نقلا عن محرز حفيده خالد بن عمرو بن عثمان بن

عقان (٣٨) . والثاني وفقا لرواية ابن قتيبة هو خالد بن عثمان بن عفان (٣٩) من زوجته أم

عمرو بنت جندب . أما خالد الحفيد فهو ابن رملة بنت معاوية بن أبي سفيان (٤٠) . ومعنى ذلك

أن خالد بن عمرو بن عثمان المذكور في رواية محرز كان حفيدا لكل من عثمان ابن عفان من جهة

الأب ، ومعاوية بن أبي سفيان من جهة الأم . ونغفل إلى الأخذ برواية محرز التي أوردها

السهمودي وفيها ما يؤكد أن المصحف الإمام المنقط بدم عثمان ظل محفوظا لدى خالد بن عمرو

بن عثمان لعمالين . الأولى: قرابته من معاوية بن أبي سفيان فهو حفيده ، ومن المنطقي أن يسمح

الجدة (معاوية) لحفيده (خالد) بأن يحتفظ بمصحف جده (عثمان بن عفان) ، وذلك لثقة معاوية

الثامة في أن حفيده لن يفرط في هذا المصحف أبدا . والثاني: أن دار عثمان آلت إلى عمرو بن

عثمان وأخوته ، وهي الدار التي كان قد تصدق بها وفقا لرواية السهمودي على ولده (٤١) ،

وعرفت دار عثمان لذلك بدار عمرو بن عثمان مما يؤكد أنه كان أكثر أولاد عثمان اهتماما بدار

أبيه ، وأنه أكثر من الإقامة بها حتى عرفت بإسمه ، وفي ذلك ما يشير إلى أن ولده خالد بن

عمرو نشأ في هذه الدار وأقام بها ، وأنها هي نفس الدار التي قتل فيها عثمان ، وكان بها

مصحفه المنقوش بدمائه .

ولهذين العاملين نرجح أن يكون مصحف عثمان في حوزة حفيده خالد بن عمرو باعتباره

أقرب إلى معاوية بن أبي سفيان وبنيه من خالد بن عثمان ، بالإضافة إلى أنه كان يقيم مع أبيه

في دار عثمان بن عفان نفسها ، و هذا يؤكد عدم خروج المصحف من دار عثمان حتى ذلك الحين .  
و أما ما كان الأمر ، و سواء كان المصحف المنقوط بهم عثمان محفوظا عند خالد بن عثمان أو  
عند خالد بن عمرو بن عثمان ، فإن هذا يعني بقاء المصحف في حوزة آل عثمان ، بن عفان وأن بني  
أمية لم يسعوا إلى انتزاعه منهم لاطمئنانهم إلى سلامته في حوزة أقربائهم أبناء عثمان بن عفان .  
و يعتمد ابن عبد الملك الأنصاري و نحن نؤيده في رأيه أن هذا المصحف المنقوط بسلم  
عثمان فقد في المدينة في بعض الفتن الطارئة عليها (٤٢) ، و هذه الفتن تنحصر في واحدة من  
الفتن الثلاثة التي وقعت في المدينة :

الأولى : وهي التي حدثت في سنة ٥٠ هـ في خلافة معاوية بن أبي سفيان عندما صمم  
معاوية على انتزاع البيعة بولاية العهد لابنه يزيد من أبناء الصحابة ، فقدم بنفسه إلى المدينة  
في ذلك العام و أرسل للقاء العبادلة من أبناء الصحابة ، و خاطبهم في مبايعة يزيد ، فاعترضوا  
على ذلك و رفضوا أن تكون الخلافة هرقلية كلما مات هرقل تولى هرقل ، فعاد معاوية إلى دمشق  
غاضبا بعد أن طلب من سعيد بن العاص عامله على المدينة بأن يحمل الناس على مبايعة يزيد ،  
فأبى أهل المدينة ، و اضطر معاوية إلى العودة إلى المدينة في ألف من الحياالة لإرغام المعارضين  
على المبايعة ليزيد ، و كانوا يتمثلون في الحسين بن علي و عبد الله بن عمر ، و عهد الرحمن  
بن أبي بكر ، و عبد الله بن الزبير فأوقف على رأس كل منهم حارسين يحمل كل منهم سيفه (٤٣) ،  
و خاطب معاوية أهل المدينة مهلنا موافقة المعارضين الأربعة على مبايعة يزيد ، فاضطر المعارضون  
الأربعة إلى السكوت ، و بايع الناس ليزيد .

و الفتنة الثانية وقعت في عام ٦٣ هـ ، فقد دعا عبد الله بن الزبير لنفسه بعد استشهاد  
الحسين في كربلاء مبايعة الناس في تهامة و الحجاز ، و كان أهل المدينة قد غضبوا لمقتل الحسين  
ابن علي ، فخلعوا عثمان بن محمد بن أبي سفيان عامل يزيد عليهم ، و طردوا مروان (٤٤) بن  
الحكم و سائر بني أمية ، و أقاموا عليهم عبد الله بن حنظلة فسير إليهم يزيد قوة كثيفة من  
الشاميين عدتها ١٢ ألف مقاتل (٤٥) ، و قيل خمسة آلاف (٤٦) بقيادة مسلم بن عقبة المري  
لتأديب أهل المدينة و القضاء على حركة ابن الزبير ، أما أهل المدينة فقد ولوا على أنفسهم عبيد  
الله بن مطيع العدوي عن قريش ، و عبد الله بن حنظلة (٤٧) عن الأنصار ، و تلوموا بخنلق  
حفره حول المدينة ، و لكن الشاميين تمكنوا من اقتحام المدينة بعد معركة ضارية دارت بالحرّة في  
٢٧ ذي الحجة سنة ٦٣ هـ قتل فيها ثمانون من صحابة الرسول (ص) و آلاف من سائر الناس ،  
و استباح عسكر الشاميين المدينة و دعوا أهل المدينة إلى البيعة على أنهم عبيد فبايع الناس  
على ذلك .

و الفتنة الثالثة وقعت في المدينة في خلافة أبي جعفر المنصور ، فقد أثار استئثار العباسيين بالخلافة دون العلويين سخط العلويين و غضبهم ، و كان الحسينيون أول من تحرك منهم للمطالبة بحقهم في الخلافة ، و تزعم الثورة محمد النفس الزكية بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي في جمادى الآخرة سنة ١٤٥هـ و دعا الناس فبايعته (٤٨) . و لم يتردد المنصور في اخماد هذه الحركة التي أصبحت تشكل خطرا جسيما يتهدد كيان الدولة العباسية ، فسير إلى المدينة عيسى بن موسى ولي عهده على رأس قوة عدتها أربعة آلاف فارس و ألفي راجل ، و أودف هذه القوة بجيش كثير تولى قيادته حميد بن قحطبة والي الجزيرة و أحد كبار القادة العباسيين . و دخلت قوات عيسى بن موسى المدينة يوم النصف من رمضان سنة ١٤٥هـ ، و فوجيء أهل المدينة بخيالة العباسيين تطوقهم ، و اشتد القتال و استشهد عدد لا يستهان به من أنصار النفس الزكية ، فتفرق كثير منهم عنه و أيقن بالهزيمة فدخل دار مروان و اغتسل و صلى الظهر ، ثم خرج لمواصلة القتال بين من تبقى من أصحابه حتى استشهد على يد حميد بن قحطبة الذي احتز رأسه . (٤٩) و بذلك قضى المنصور على ثورة الحسينيين في المدينة . ثم تجددت ثورات الحسينيين في المدينة سنة ١٦٩هـ في خلافة الهادي ، و تولى زعامتها هذه المرة الحسين بن علي ابن الحسن بن الحسن ، و كان يتولى المدينة من قبل الخليفة العباس آنذاك عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب الذي اصطنع مع الحسينيين سياسة تقوم على العنف و البطش ، و أدى ذلك إلى قيام الحسين بالدعوة لنفسه ، فبايعه أهل المدينة ثم خرج في أنصاره إلى مكة في في ٢٤ من ذي الحجة فتصدت له عند فوخ قرب مكة قوة كثيفة العدد من العباسيين بقيادة سليمان بن المنصور و دارت بين الفريقين معركة عنيفة انتهت بمصرع الحسين و معظم من كان معه . (٥٠)

و هكذا نجد أنفسنا أمام أكثر من احتمال ، إلا أننا نرجح الاحتمال الثالث استنادا إلى رواية أوردها السهمودي على لسان الإمام مالك بن انس الذي قال " ان مصحف عثمان رضي الله عنه تغيب فلم نجد له خبرا بين (٥١) الأشياخ " و من العروف أن مالكا توفي سنة ١٧٩هـ . كذلك يذكر السهمودي أن القاسم بن سلام المتوفي سنة ٢٢٣هـ رأى (٥٢) مصحف عثمان المنقوط بدمه ، و قد استخرج له من خزائن بعض الأمراء ، و شاهد آثار الدماء بورقاته . و هناك نص أورده كل من ابن عبد الملك الأنصاري (٥٣) في " الذيل و التكملة " و ابن مرزوق في " السند الصحيح " (٥٤) ، يذكر فيه أن شخصا يدعى أبو بكر محمد بن يعقوب بن شيبه بن الصلت ، ذكر أنه سمع عن والده أحمد و رأى بخط جده يعقوب ما يؤكد أن يعقوب هذا رأى مصحف عثمان (المصحف الإمام) بنفسه في العراق في شهر ربيع الأول سنة ٢٢٣هـ قد بعث به المعتصم العباسي لتجدد دفتاه و يحلى و أنه شاهد في أوراق كثيرة من المصحف أثر دم كثير . و أن أكثر هذا الدم في سورة " و النجم " ،



و على قوله تعالى « فسيفكفيكم الله » و ألقى أن طول المصحف يبلغ نحو شهرين و أربعة أصابع و أن كل سطر يشتمل على ٢٨ سطرا .

و نخرج من هذه الرواية بالحقائق الآتية : ١ - أن المصحف الإمام كان محفوظا بالعراق زمن الخليفة المعتصم بالله ٢ - أن طول المصحف كان يصل إلى نحو .ين و أربعة أصابع و أن كل ورقة منه كانت تشتمل على ٢٨ سطرا ٣ - أن نقاط من الدم مت صبغ عددا كبيرا من أوراق المصحف .

من ذلك كله نرجح أن يكون المصحف الإمام قد اختفى من المدينة في حياة مالك بن أنس وهذا يدعونا إلى رفض الإحتمالين الأولين ، و تقبل الإحتمال الثالث و يقضي بأن المصحف الإمام فقد من المدينة مع أحداث الفتنة الثالثة أو وقعة فخ سنة ١٦٩ هـ ، إذ أن هذا التاريخ يتفق منطقيا مع الفترة الزمنية التي عاش فيها الإمام مالك و مع طبيعة الاحداث . و على هذا الأساس يمكننا القول بأن المصحف الإمام كان محفوظا عند أحفاد عثمان بن عفان بالمدينة ، و هؤلاء كانوا أقرباء للأمويين ، و لا يعقل أن ينتزع الأمويون مصحف عثمان بن عفان سواء في فتنة سنة ٥٠ هـ التي أخذ فيها معاويةبيعة أهل المدينة لابنه يزيد قهرا إذ ليس منطقيا أن يقتحم معاوية دار حفيده خالد بن عمرو بن عثمان لينتزع منه المصحف الإمام ، فهر مهما كان الأمر حفيده و أقرب الناس إليه و أكثرهم موالاة له . و سواء في فتنة المدينة سنة ٦٣ هـ ، إذ ليس من المنطقي أن يأمر يزيد بن معاوية جنده الشاميين باستباحة حرمة دار خالد بن عمرو بن عثمان الذي هو ابن أخته رملة . يضاف إلى ذلك أن هذين التاريخين سواء عام ٥٠ هـ أو ٦٣ هـ لا يعاصران حياة مالك بن أنس الذي أكد أن مصحف عثمان الذي كان يقرأ فيه ساعة استشهاده تغيب . و نخلص من ذلك كله بأن المصحف الإمام الخاص بعثمان بن عفان و المنقوط بدمه ظل محفوظا في دار عثمان بالمدينة طوال العصر الأموي و أنه تغيب عنها على حد قول الإمام مالك في بداية العصر العباسي ، و ربما في الوقت الذي اقتحم فيه العباسيون المدينة سنة ١٦٩ هـ ، و هذا يدعونا إلى الاعتقاد بأن هذا المصحف انتقل إلى أرض العراق في أعقاب الواقعة إذ أن استيلاء العباسيين على هذا المصحف الذي كان يحتفظ به بنو عثمان بن عفان أقرباء الأمويين يعني الكثير بالنسبة إليهم ، و بما يؤكد صحة استنتاجنا أن السهودي الموزع المشرقي وابن هرون وابن عبد الملك الأنصاري المورخان المغربيان يتفقون على أن المصحف الإمام المنقوط بدم عثمان كان بالعراق في حدود سنة ٢٢٣ هـ ، فالسهودي يؤكد أن أبا عبيد القاسم بن سلام ، رأى المصحف المذكور و قد استخرج له من خزائن بعض الأمراء و أنه شاهد آثار دم عثمان به ( ٥٥ ) ، ولكنه لم يحدد البلد الذي رأى فيه هذا المصحف ، كما أنه لم يعرف بالأمراء الذين كانوا يحتفظون به في خزائنهم .

وأجمع ذلك فإننا استطعنا من خلال ترجمة أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي البغدادي ومقارنة رواية السهمودي برواية ابن عبد الملك الأنصاري أن نتوصل إلى تحديد الموضع الذي كان المصحف الإمام محفوظاً فيه ، فابن سلام المذكور كان يعرف بالبغدادي لطول إقامته في بغداد ، وكان من أشهر تلاميذ الأصمعي أخذ عنه بالبصرة ، كما سمع بالكوفة على ابن الأعرابي والكسائي ، واستقر به المقام بعد ذلك في بغداد إلى أن رحل إلى مكة (٥٦) سنة ٢١٤ هـ ( ٨٢٩ م ) لأداء فريضة الحج ثم توفي بها سنة ٢٢٣ هـ . ونستنتج من هذه الترجمة أنه عاش في العراق حتى سنة ٢١٤ هـ ، وهذا يعني أنه شاهد مصحف عثمان المنقوط بدمه في العراق خلال هذه الفترة حيث استخرج من خزائن أمراء الدولة العباسية ببغداد التي نسب إليها ابن سلام بحكم إقامته الطويلة بها . ومعنى ذلك أن المصحف الإمام حمل من المدينة إلى بغداد في أوائل العصر العباسي الأول ، وباللات في سنة ١٦٩ هـ وهو العام الذي دارت فيه موقعة فخ ، وهناك احتفظ به أمراء بني العباس في خزائهم ، ويؤكد ذلك رواية كل من ابن عبد الملك الأنصاري وابن مرزوق التي تؤكد أن يعقوب بن شيبة رأى بنفسه مصحف عثمان المنقوط بدمه في العراق سنة ٢٢٣ هـ ، وهذا الاستنتاج يخالف الرأي الذي أدلى به ابن عبد الملك الأنصاري والذي يذكر فيه احتمال انتقال المصحف إلى الأندلس مع الأمير عبد الرحمن الداخل يدعونا إلى ترجيح الرأي القائل بوصوله أو على الأقل جزء منه كما ستوضح ذلك في الصفحات التالية في عهد الأمير (٥٧) عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦ - ٢٢٨ هـ) .

وتختلف آراء مؤرخي الأندلس بشأن هذا المصحف :

فاين يشكوال يرى أن هذا المصحف هو أحد المصاحف الأربعة التي بعث بها عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار ، وأن ما اصطفي به من آثار دماء عثمان ، زيف وهم ولا أساس له من الحقيقة ويرجح أن يكون هذا المصحف ، المصحف العثماني الشامي (٥٨) ويرى ابن عبد الملك الأنصاري أن هذا المصحف الذي احتفظ به الأمويون في جامع قرطبة ، واهتم عبد الرحمن الناصر بتزيينه والاحتفال به ، ثم غرب من قرطبة سنة ٥٥٢ هـ إلى مراكش لم يكن النسخة الخاصة بالخليفة الشهيد عثمان بن عفان ، ويرجح بدوره أن يكون مصحف الأندلس أحد المصاحف الأربعة التي بعث بها عثمان بن عفان إلى مكة والبصرة والكوفة والشام ، فإن يكن أحدها فلعله الشامي استصحبه عبد الرحمن الداخل معه إلى الأندلس سنة ١٢٨ هـ مما بعثت إليه أخته من الذخائر والتحف أو أن يكون مما اجتلب إلى غيره من ذريته (٥٩) . ومع ذلك فهو يذكر نقلاً عن الرازي أن المصحف المحفوظ بجامع قرطبة هو مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان (٦٠) مما خطه بيمينه كما يذكر نقلاً عن ابن حبان في أطحاث سنة ٣٥٤ هـ أنه مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه خطه بيمينه (٦١) . ويذكر المقرئ أن هذا المصحف كان مصحف عثمان بن عفان ، وكان يقرأ فيه عندما

استشهد، وكان يزودان بحلبة من الذهب مظللة بالدر والياقوتة عليه أغشية الديباج (٦٢). وفي موضع آخر يؤكد أنه مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه مما خطه بيمنه (٦٣). ومن خلال هذا العرض للآراء المختلفة يتبين أن هناك فريقين، الأول يؤكد أن المصحف الذي كان به جامع قرطبة هو مصحف عثمان بن عفان الخاص به كتبه بخط يده وكان يقرأ فيه لحظاً استشهاده فتناثرت قطرات من دمه و تركت آثارها عليه ، ومن هذا الفريق الرازي وابن حبان والإدريس والمقرئ .

أما الفريق الثاني فينتفي أن يكون المصحف المذكور مصحف عثمان الخاص به ، ويميل أصحاب هذا الرأي إلى أن المصحف هو أحد المصاحف الأربعة التي بعث بها عثمان إلى الأمصار الأربعة ، ويرجعون أن يكون نفس المصحف الشامي وأنه دخل الأندلس في عهد عبد الرحمن الداخل ، ومن هذا الفريق ابن بشكوال وابن عبد الملك الأنصاري .

ويميل إلى الأخذ بالرأي القائل بأن مصحف جامع قرطبة هو نفسه أو يضع أوراق منه يعني أصبح هو المصحف الإمام الذي كان يقرأ فيه الخليفة الشهيد وقت استشهاده وإن كنا لا توافق أصحاب هذا الرأي على أن عثمان بن عفان هو الذي خطه بيمنه لأن المصادر العربية تجمع على أنه عهد إلى عدد من الصحابة بنسخ المصحف على قراءة واحدة بلسان قريش وأنه لم يكتب أو ينسخ بنفسه أي من هذه المصاحف . كما نرفض رأي ابن بشكوال وابن عبد الملك الأنصاري بشأن المصحف المحفوظ به جامع قرطبة ويذهب كل منهما إلى أن هذا المصحف هو أحد المصاحف الأربعة التي أرسلت إلى الأمصار الأربعة البصرة ، والكوفة ومكة و دمشق ، وإن كانا يرجحان أن يكون مصحف دمشق .

و نعتقد أن مصحف الكوفة ربما ضاع في غمرة القلاقل والإضطرابات التي احتدمت في الكوفة في خلافة علي بن أبي طالب وفي العصر الأموي عندما أصبحت مركزاً للتشيع ، وحتى لو افترضنا بوجوده في الكوفة فلا يعقل أن يفرط أهل الكوفة في مصحفهم العثماني الإمام ليرسل إلى الأندلس التي كان يتولى حكمها أمراء من البيت الأموي السنة ، وأما مصحف مكة فقد وصلتنا أخبار عنه حتى القرن الثامن الهجري ، من ذلك أن ابن جبير رآه بمكة أثناء زيارته لها (٦٤) . كما تحدث عنه الرحالة الطنجي ابن بطوطة عند زيارته للحرم المكي الشريف (٦٥) ، كما عاينه أبو القاسم التجيبي السبتي في قبة اليهودية بمكة في أواخر سنة ٦٩٦ هـ وكذلك تحدث عنه السهمودي في مصنفه وفاء (٦٧) الوفا ، وعلى هذا الأساس لا يمكن أن يكون مصحف مكة هو نفس مصحف قرطبة .

أما مصحف البصرة فقد أشرنا فيما سبق أن ابن بطوطة رآه في البصرة ،

و رجعنا أن يكون نفس المصحف الذي أرسله عثمان بن عفان إلى البصرة ، و ربما انتقل فيما بعد إلى سمرقند ثم إلى طشقند . و أيا ما كان الأمر فإن رؤية ابن بطوطة لمصحف البصرة يتعارض مع الرأي القائل بأنه هو ذاته المصحف الذي كان به جامع قرطبة .

بقي علينا أن نناقش قول كل من ابن بشكوال و ابن الملك بأن مصحف قرطبة هو أصلا المصحف العثماني بدمشق ، و أنه دخل الأندلس مع عبد الرحمن الداخل سنة ١٣٨ هـ ، و هو قول مردود نستبعده تماما لما يأتي :

أولا : إن الرحالة الذين زاروا دمشق وصفوا المصحف العثماني الشامي في فترات زمنية متأخرة مما يتعارض مع رأي ابن عبد الملك الأنصاري في أنه انتقل إلى قرطبة زمن عبد الرحمن الداخل . فقد رآه ابن جبير و وصفه كما شاهده الهروي (سنة ٦١١ هـ) و شاهده أبو القاسم التجهيبي السبتي سنة ٦٩٧ هـ ، و كذلك ابن فضل الله العمري (٧١) في القرن الثامن الهجري ، و ابن بطوطة في نفس القرن (٧٢) .

ثانيا : يذكر ابن عبد الملك الأنصاري أن حجم مصحف قوطية يختلف عن حجم المصحف الذي رآه أبو بكر بن شيبه في العراق كما أن آثار الدم في مصحف العراق كانت تبدو في أكثر من موضع .

و أعتقد لكشف الغموض الذي يكتنف مصحف عثمان الإمام أن المصحف الذي كان محفوظا به جامع قرطبة لم يكن كله مصحف عثمان الذي كان يقرأ فيه يوم إستشهاده ، و إنما كان يشتمل على أربع أوراق فقط ، أما بقية أوراق المصحف فقد تكون قد نسخت على نفس نظام المصحف العثماني . و نستند في هذا الرأي على رواية الإدريسي الجغرافي التي ثبتت المعروف بأمانته و صدقه في الوصف ، و يذكر فيها مخزن الجامع الواقع على يسار المحراب فيه مصحف "يرفعه رجلان لثقله فيه ٤ أوراق من مصحف عثمان بن عفان ، و هو المصحف الذي خطه يمينه رضي الله عنه ، و فيه نقطة من دمه " (٧٣) . و نخرج من ذلك بأن مصحف الأندلس اكتسب شهرته و رفيع مكانته من تلك الأوراق الأربعة التي إنتزعت من المصحف الأصلي و اصطيفت بنقاط من دمه . و من هنا عظم أهل قرطبة مصحفهم و بهجلوه و توارثت الأجيال في قرطبة هذا الشعور العميق بالتعظيم لهذا المصحف حتى ارتحل هذا المصحف على أيدي الموحدين فسي السنوات الأولى من دخولهم الأندلس إلى المغرب و بالذات سنة ٥٥٢ هـ حماية له من التعرض لأي مكروه بعد الغارة الوحشية التي قام بها النصاري على قرطبة سنة ٥٤٠ هـ و دخولهم أروقة الجامع بغيولهم و انتهابهم لذخائره .

وإذا كنا قد رجعنا دخول مصحف عثمان الخاص به الأندلس في عصر الأمير عبدالرحمن الأوسط

فلأنه عصر الإفتتاح في الأندلس على المشرق وبالذات على العراق ، و وصول كثير من التعف و الذخائر التي ضاقت بها خزائن بغداد و التي انتهت في فتنة الأمين و المأمون إلى قرطبة . و ظل هذا المصحف محفوظا بموضعه من جامع قرطبة في عهد عبد الرحمن الناصر ، فلما شرع الحكم المستنصر في زيادته المنسوبة إليه بالجامع من جهة القبلة في ٨ من جمادي الآخرة سنة ٣٥٤ هـ ، أمر بأن ينتقل إلى دار صاحب الصلاة الثقة المأمون محمد بن يحيى بن عبد العزيز المعروف بابن (٧٤) الخراز احتراسا به و مبالغة في حرسه عليه ، و أن يظل محفوظا لديه إلى أن يفرغ البناءون (٧٥) في زيادة الحكيمة فيعود إلى مكانه الجديد من المقصورة المحدثه . و تم بالفعل نقل المصحف المكرم احتمله مشيخة السدنة إلى دار ابن الخراز في التاريخ المذكور . فلما تمت الزيادة الحكيمة بالجامع في سنة ٣٥٥ هـ و نصبت المقصورة الجديدة في الجامع ، و أعيد المصحف إلى موضعه من هذه المقصورة (٧٦) حيث اختزن داخل الغرفة التي يؤدي إليها الباب المعقود على يسار جوفة المحراب .

و كان يتولى العناية بالمصحف الإمام و كرسيه سادن الجامع ، و يذكر ابن سعد المصفي أنه كان يتولاه في عهد بني جهور زمن الطواف ، وزير عما يعبر عن أهمية هذا المصحف . و ظل المصحف الإمام محفوظا في موضعه من الجامع في عصر بني جهور و عصر دولة المرابطين ، وقد وصفه الإدريسي ( ت سنة ٥٦٠ هـ ) الذي انتهى من تأليف كتابه مصنفه الموسوم " بزهة المشتاق " سنة ٥٤٨ هـ قبل أن تخضع الأندلس لدولة الموحدين . و من الجدير بالذكر أن المرابطين إهتموا بهذا المصحف إهتماما كبيرا فقد وضعوا لرعايته ٣ رجال من قومه المسجد لإخراجه صباح كل يوم جمعة ، و ذكر الإدريسي أن هذا المصحف كان مغلفا بغلاف من الجلد قائم اللون (٧٧) " بديع الصنعة منقوش بأعرب ما يكون من النقش و أدقه و أعجمه " . (٧٨) و كان إمام الجامع يقرأ من المصحف صبيحة كل يوم نصف حزب ثم يرده إلى كرسيه بالمصلى مرة ثانية (٧٩) .

و عندما انضوت الأندلس في فلك دولة الموحدين كان عهد المزمين بن علي أو خلفاء الموحدين يشعر بالقلق الشديد على هذا المصحف الجليل منذ أن تعرض الجامع القرطبي لهيب القشتاليين و انتهابهم لتفانيح النار و أوصال المنبر ، و دفعه حرصه على سلامة هذا المصحف إلى أن يقدم على نقله إلى مراکش ، و تولى مهمة نقل المصحف السيدان أبو سعيد و أبو يعقوب ولدا الخليفة في ١١ شوال سنة ٥٥٢ هـ . (٨٠)

وفي هذه المناسبة نظم الوزير أبو زكريا يحيى بن أحمد بن يحيى بن عبد الملك بن طفيل قصيدة منها:  
جزى الله عن هذا الأمام خليفة # به شربوا ماء الحياة فخلدوا

وحياه ما دامت محاسن ذكره # # على مدرج الأيام تتلى و تنشد  
لمصحف عثمان الشهيد و جمعه # # بين أن الحق بالحق يعضد  
تجاسمه أيدي الروم بعد انتسافه # # و قد كاد لولا سعيه يتبدد  
فما هو إلا أن تمس صارخا # # بدعوته العليسا فخصين المبدد

و قد اهتم الموحدون بالمصحف و اعتنوا بكسوته ، فكسوه بصفائح الذهب المرصعة باللاكس  
النفسية و الأحجار الكريمة من يواقيت و زمرد و جواهر ، وحشدوا لخراج غلافه على تلك الصورة  
الرائعة و الصنعة المتميزة عددا كبيرا من الصنائع المتقنين و المهرة المتفنين في بلاده المغرب ،  
و كللوا غلافه بحجر ياقوت أحمر لا يقدر بمال كان يسمى الخافر كما صنع له أصونة غريبة من  
السندس الأخضر ، و محمل غريب الصنعة بديع الشكل مغشى بضروب من الترصيع في قطع  
من الأبنوس و الخشب (٨٢) الرفيع ، و صنع لهذا المحمل كرسي يحمله عند الإنتقال و يشاركه  
في أكثر الأحوال مرصع مثل ترصيعه ، ثم جعل لذلك كله تابوت يحتوي عليه مكعب الشكل  
سام في الطول ، يزدان بنفس الحليات التي يتحلى بها المحمل و كرسيه ، و دبرت لفتحه حركات  
هندسية ، عن طريق مفتاح إذا أدير به اليد انفتح الباب إلى داخل الدفتين ، فيخرج الكرسي  
زاحفا ، و يغلق الباب تلقائيا بخروجه ، و من مظاهر عناية الموحدين بهذا المصحف ، و تبركهم به  
أنهم كانوا يحملونه في أسفارهم (٨٣) و حروبهم ، و كان عبد المؤمن بن علي أول من سن هذه  
العادة المباركة في المغرب ، و كانوا يحملونه على هودج تحمله ناقه حمراء (٨٤) ، و قد كسيت  
بنفيس الديباج و أحيانا جمل أبيض . و على الهودج أربع علامات حمراء ، و يتبعه الخليفة وابنه  
وراء ثم يلي ذلك البنود و الأعلام و الطبول ثم الأمراء المدبرون للدولة .

واستمر الموحدون يحملون هذا المصحف المكرم معه في رحلاتهم و تنقلاتهم و أسفارهم إلى  
أن حمله الخليفة الموحي المعتضد بالله أبو الحسن علي بن المأمون أبي العلاء إدريس حين توجه  
إلى تلمسان على عادة خلفاء الموحدين و كان ذلك في نهاية عام ٦٤٥ هـ ، فقتل على مقرية  
من تلمسان في آخر صفر سنة ٦٤٦ هـ (٨٥) ، فاحتل جيش الوحدين و وقع النهب في خزانة  
السلطان ، و استولى العرب و غيرهم على معظم المعسكر ، و نهب المصحف الكريم ، و لم يدرك  
منتهبوه مدى القيمة التاريخية و الروحية لهذا المصحف فدخلوا به تلمسان و عرضه للبيع .  
ونودي عليه بسوق الكتب بتلمسان بسبعة عشر درهما و ضاعت منه أوراق . فلما علم  
أبو يحيى يغمرا سن بن زيان أمير تلمسان من بني عبد الواد بذلك بادى بانتزاع المصحف  
المكرم من أيدي منتهبيه و أمر بصيانته و الحفاظ عليه ، و أورثه أبناءه . و ظل المصحف في  
حوزتهم حتى ٧٠٢ هـ .

وهكذا ظل مصحف عثمان محفوظا في خزائن ملوك تلمسان من بني عبد الواد حتى قدم أبو الحسن علي بن عثمان بن أبي يعقوب المريني إلى تلمسان في أواخر شهر رمضان سنة ٧٣٧ هـ واقتنحها سنة ٧٣٨ هـ فظفر بهذا المصحف ، فاهتم به اهتماما خاصا و كان يقدمه أمامه على عادة الموحدين في خروجه للقتال .

واتفق أن وقع هذا المصحف في أيدي البرتغاليين الذين اشتركوا مع القشتاليين والأرجونيين في موقعة طريف المعروفة في المصادر المسيحية بموقع نهر سلاو في ٧ جمادى الأولى سنة ٧٤١ هـ ٧٤٠ م وانتهت بهزيمة نكراء منى بها المرينيون .

ولم يدخر السلطان المريني جهدا لاسترداد المصحف ، فأرسل إلى البرتغال التاجر أبا علي الحسن بن جمى من مدينة أزموور ليخلص المصحف بما يطلب فيه من مال . ( ٨٦ )

ونجح أبو علي الحسن في مهمته و أعاده إلى السلطان إبي الحسن الموريني بفاس في سنة ٧٤٥ هـ وذكر ابن مرزوق أنه إتفق في اقتداء المصحف الألف من الدنانير الذهبية .

و هكذا أعيد المصحف الإمام الى فاس بعد أن جرد البرتغاليون أغشيتيه و مزقوا ما كان على دفتيه من وشي و أحجار كريمة . و استمر المصحف محفوظا في خزائن المرينيين و كان ذلك آخر العهد به إذ إنقطعت أخباره منذ ذلك التاريخ .

## الهوامش

- (١) أبو عبد الله البخاري ، صحيح البخاري ، تقديم فضيلة الشيخ أحمد محمد شاكر ،  
النسخة المنقولة عن الطبعة الأميرية ، الجزء السادس ، ص ٢٣٠ الإمام بدر الدين  
محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق: محمد أبو الفضل  
إبراهيم طبعة ١٩٥٧ ، ١ ، ص ٢٤١ .
- (٢) الزركشي ، المصدر السابق ، ص ٢٤١ .
- (٣) نفسه ، ص ٢٣٧ و لمزيد من التفاصيل عن المواد التي دون عليها القرآن زمن الرسول  
ص ٥٨ ، و صبحي الصالح ، مباحث في علوم القرآن ، الطبعة الثانية دمشق  
١٩٦٢ ، ص ٦٧ .
- (٤) صبحي الصالح ، المرجع السابق ، ص ٦١ - ٦٦ ، و أرجع كذلك إلى محمد زكي  
الدين محمد قاسم ، مدخل إلى معرفة القرآن الكريم ، طبعة وزارة الأوقاف ، سلسلة  
دراسات في الإسلام ، العدد ٢٤٠ ، ص ٣٨ - ٤١ .
- (٥) محمد عبد العزيز مرزوق ، المصحف الشريف ، دراسة تاريخية و فنية ، مطبعة  
المجمع العلمي العراقي ، ١٩٧٠ ، ص ٣ .
- (٦) الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) تاريخ الأمم والملوك ، طبعة بيروت مكتبة  
البيان ، حوادث سنة ١١ ، ١٢ هـ و انظر البلاذري ، فتوح البلدان ، تحقيق الدكتور  
صلاح الدين المنجد ، ج ١ ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص ١١١ .
- (٧) أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ، المقنع في رسم مصاحف الأنصار ، تحقيق محمد  
صادق القمحاوي ، طبعة القاهرة ١٩٧٨ ، ص ١٣ - ١٤ . كما أورد كل من السجستاني  
والزركشي روايتين متشابهتين مع الرواية التي أوردتها الداني عن تكليف أبي بكر زيد  
بن ثابت بجمع القرآن انظر ( السجستاني ) الحافظ أبو بكر عبد الله بن أبي داود  
سليمان بن الأشعث ) كتاب المصاحف ، صححه و وقف على طبعه آثر جفري ، الطبعة  
الأولى ، ١٩٣٦ - ١٣٥٥ هـ ، ص ٧ ، - الزركشي ، البرهان ، ص ٢٣٣ .
- (٨) السيوطي ، الاتقان ، ص ٥٨ .
- (٩) المصدر السابق ، ص ٥٨ .
- (١٠) السجستاني ، كتاب المصاحف ، ص ٨٥٥ - الحافظ أبو الخير الدمشقي الشهير



باين الجزري ، النشر في القراءات العشر ، تصحيح الأستاذ علي محمد الضباع ، طبعة  
القاهرة ، ج ١ ، ص ٧ .

و ارجع كذلك إلى ( صبحي الصالح ، مباحث في علوم القرآن ، ص ٧٦ ) .

(١١) عبد العزيز مرزوق ، المصحف الشريف ، ص ١٠ ، ١١ و ارجع إلى ارنست كونسل ،

صنعة الخط في الإسلام ، مجلة فكر و فن الالمانية ، عدد ٣ ، سنة ١٩٦٤ ، ص ٢٦ .

(١٢) السجستاني ، كتاب المصاحف ، ص ٦ .

(١٣) ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، ص ٧ .

(١٤) المصدر السابق ، ص ٧ .

(١٥) عن المناقشات الطويلة التي دارت حول تحديد العام الذي بدء فيه بنسخ المصاحف ارجع

إلى ( السجستاني ، كتاب المصاحف ، ص ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، السيوطي الاتقان ج ١ ،

ص ١٠٢ ، و ارجع كذلك إلى ( صبحي الصالح ، مباحث في علوم القرآن ، ص ٧٩ ،

ص ٨٣ و عبد الله خورشيد البري ، القرآن و علومه في مصر ٢٠ - ٣٥ هـ ، طبعة دار

المعارف ، ص ١٨ - ٤٥ ) .

(١٦) أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر تاريخ

مدينة دمشق ، تحقيق سكيئة الشهابي ، طبعة دار الفكر ، دمشق ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ ،

ص ٢٧٣ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ .

(١٧) الداني ، المقنع ، ص ١٠ .

(١٨) الزركشي ، البرهان ، ج ١ ، ص ٢٣٥ .

(١٩) السجستاني ، كتاب المصاحف ، ص ٣٤ .

(٢٠) تاريخ اليعقوبي ، المجلد الثاني ، صادر دار بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ١٧٠ .

(٢١) ابن الجزري ، النشر ، ص ٧ .

(٢٢) عبد العزيز مرزوق ، المصحف الشريف ، ص ١٣ ، محمود حلمي ، على هامش المصحف

الإمام ، و الخط المصحفي ، بحث تحت النشر ، ص ٣ - محمد عبد العظيم الزرقاني ،

مناهل العرفان في علوم القرآن ، القاهرة ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ الجزء الأول ، ص ٣٦٠ .

(٢٣) لمزيد من التفاصيل عن الفتنة ارجع إلى الطبري ، أحداث سنة ٣٥ هـ - ابن الاثير

( عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني ) الكامل في التاريخ ، ج ٣ ،

طبعة بيروت سنة ١٩٦٥ ، أحداث سنة ٣٠ - ٣٥ هـ - السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ

السياسي و الحضاري للدولة العربية ، طبعة مؤسسة شباب الجامعة ، ص ٢٨٥ - ٣١٤ .



- (٤٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ١١٢ .
- (٤٦) اليعقوبي ، ص ٢٥١ .
- (٤٧) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ١١٢ .
- (٤٨) الأصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ٢١١ - ٢٢٠ .
- (٤٩) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٥٣٢ - ٥٥١ .
- (٥٠) المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٩٠ - ٩٢ - الأصفهاني ، مقاتل الطالبين ص ٣٢١ ، ٣٢٢ .
- (٥١) السهودي ، وفاة الوفا ، ج ١ ، ص ٤٨٢ .
- (٥٢) ولد أبو عبيد القاسم بن سلام عام ١٥٤ هـ ( ٧٧٠ م ) ، وتوفي بمكة وقيل في المدينة سنة ٢٢٢ هـ ( ٨٣٧ م ) وقيل سنة ٢٢٤ هـ ( انظر تاريخ الادب العربي ، كارل بروكلمان ، ترجمة د . عبد الحليم التجار ، طبعة دار المعارف ، ج ٢ ، ص ١٥٥ ) وانظر كتاب الايمان للإمام أبي عبيد القاسم بن سلام ، تحقيق محمد ناصر الدين الالباني مطبعة المؤسسة السعودية بمصر ، المقدمة ) وإن كان د . صلاح الدين المنجد يرى أن وفاته كانت عام ٢٢٢ هـ ( صلاح الدين المنجد ، المرجع السابق ، ص ٤٧ ) .
- (٥٣) ابن عبد الملك الانصاري ، الذيل و التكملة ، السفر الأول من القسم الأول ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ .
- (٥٤) محمد ابن مرزوق التلمساني ، المسند الصحيح الحسن في مآثر و معاصر مولانا أبي الحسن ، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا ، الجزائر ١٤٠١ هـ ، ١٩٨١ ، ص ٤٨٥ ، ص ٤٨٦ .
- (٥٥) السهودي ، وفاة الوفا ، ج ١ ، ص ٤٨٢ .
- (٥٦) لمزيد من التفاصيل عن كتب أبي عبيد القاسم بن سلام و مصنفاته و أماكن حفظها ارجع إلى ( كارل بروكلمان ، تاريخ الادب العربي ، ص ١٥٥ - ١٥٩ ) .
- (٥٧) فون شاك ، الفن العربي في اسبانيا و صقلية ، ترجمة الدكتور الطاهر مكي ، ص ١٩٤ - ١٩٥ .
- (٥٨) أبو العباس احمد بن محمد بن احمد بن يحيى المقرئ التلمساني ، نفع الطيب من غصن الاتليس الرطيب ، طبعة محي الدين عبد الحميد ، ج ٢ ص ١٣٥ .
- (٥٩) ابن عبد الملك ، الذيل و التكملة ، السفر الاول ، القسم الاول ، ص ١٦٦ .
- (٦٠) المصدر السابق ، ص ١٥٨ ، ابن مرزوق ، المسند الصحيح ، ص ٤٥٦ .
- (٦١) ابن عبد الملك ، الذيل و التكملة ، ص ١٥٨ .
- (٦٢) المقرئ ، نفع الطيب ، ج ٢ ، ص ٨٦ .
- (٦٣) المصدر السابق ، ص ٩٩ .
- (٦٤) صلاح الدين المنجد ، المرجع السابق ، ص ٤٨ .

- (٦٥) ابن بطوطة ، الرحلة ، طبعة بيروت ، ص ١٣٨ .
- (٦٦) ابن مرزوق ، المسند ، ص ٤٥٩ - المقرئ ، نفخ الطيب ، ج ٢ ، ص ١٣٥ .
- (٦٧) السمهودي ، وفاء الوفا ، ج ١ ، ص ٤٨٢ .
- (٦٨) ابن جببر ، الرحلة ، طبعة حسين نصار ، ص ٢٥٧ .
- (٦٩) صلاح الدين المنجد ، المرجع السابق ، ص ٤٥ .
- (٧٠) ابن مرزوق ، المسند ، ص ٤٥٩ ، المقرئ ، نفخ الطيب ، ج ٢ ، ص ١٣٥ .
- (٧١) ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار ، تحقيق أحمد زكي ، ج ١ ص ١٩٥ .
- (٧٢) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٩ .
- (٧٣) الشريف الإدريسي ، المغرب و أرض السودان و مصر و الأندلس ، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، طبعة لندن سنة ١٦٦٨ ص ٢١٠ ، ٢١١ .
- (٧٤) ارجع في ترجمة ابن الخرازالي (أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الإزدري المعروف بابن الفرض ، تاريخ علماء الأندلس ، طبعة مدريد ١٨٩٠ ترجمة رقم ١٣٢٣ ص ٣٧٤) .
- (٧٥) ابن عبد الملك الأنصاري ، الذيل و التكملة ، ص ١٥٨ .
- (٧٦) ابن غالب ، قطعة من فرحة الأنفس ، ص ٢٨ ، ابن عذارى المراكشي البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، نسخة مصورة من طبعة لندن ، ج ٢ ، ص ٣٥٥ - المقرئ نفخ الطيب ، ج ٢ ، ص ٨٨ .
- (٧٧) ابن عبد الملك الأنصاري ، الذيل و التكملة ، السفر الأول من القسم الأول ، ص ١٦٤ - ١٦٧ .
- (٧٨) الإدريسي ، المغرب و أرض السودان ، ص ٢١٠ ، ٢١١ .
- (٧٩) المصدر السابق ، ص ٢٦١ .
- (٨٠) المقرئ ، نفخ الطيب ، ج ٢ ، ص ١٣٥ .
- (٨١) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٤٠ و انظر باقي القصيدة في نفس المصدر ، ص ١٣٨ - ١٤١ .
- (٨٢) نفسه ، ج ٢ ، ص ١٤٣ - ١٤٤ .
- (٨٣) ابن عبد الملك ، الذيل ، السفر الأول ، القسم الأول ، ص ١٥٦ عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، سنة ١٩٤٩ ، ص ٢٥٣ - كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية لمؤلف اندلس من أهل الثامن عشر ، حققه د . سهيل زكار والأستاذ عبد القادر زمامة - طبعة الدار البيضاء ص ١٥٣ .

- (٨٤) عبد الواحد المراكشي ، المعجب ، ص ٢٥٣ .  
(٨٥) ابن عبد الملك الأنصاري ، الذيل و التكملة ، ص ١٦٧ .  
(٧٦) ابن مرزوق ، المسند ، ص ٤٦١ - المقرئ ، نفخ الطيب ، ج ٢ ، ص ١٣٦ .